

## الإمام الخميني وتجليات القيام

### الإمام الخميني وتجليات القيام لله

الشيخ جابر مسلماني



ينشر موقع IR.KHAMENEI الإلعامي مقلاً للأستاذ في الحوزة العلمية الشّيخ جابر مسلماني يسلط الضوء على بركات الثورة الإسلامية في إيران على العالم والخطاب السياسي لقائدتها الإمام الخميني (قده) الذي هزّ شباك الميدان العالمي ونفذ إلى عقول قادته ومؤسسات تفكيره ونخبه. ثم يلفت سماحته إلى المصطلح الذي استخدمه الإمام الخامنئي في خطابه الأخير في ذكرى رحيل الإمام الخميني حيث عبد عن أنّ الجوهر الأساس للقيام الخميني كان القيام وباء في كافة الميادين، وأنّ من إقدامات سماحته في هذا المضمار إدخال مفردة المقاومة إلى القاموس السياسي العالمي والإطاحة بكلّ الجدر التي تم تثبيتها بين الشعوب المظلومة وأهدافها.

الكاتب: الشيخ جابر مسلماني

بتكتيفٍ وكلمات مفتوحة على ما تحمله من مضمون دينية روحية<sup>٣</sup> فكرية ونورية جدد سماحة الإمام السيد علي الخامنئي (دام ظله) البيعة المقدسة لروح سماحة الإمام الخميني العظيم ووصيته الإلهية الخالدة وعهد خطابه الرباني في الثورة والجمهورية الإسلامية، وذلك في الحرم المقدس لمرقد مؤسس الجمهورية الإسلامية الإمام روح الله الموسوي الخميني (قده) في الذكرى الثالثة والثلاثين للعروج النوراني المهيّب.

ومما قاله سماحته في خطابه: إن الإمام الخميني هو روح<sup>٤</sup> الجمهورية الإسلامية وإمامها في الأمس والحاضر والمستقبل.

مما لا شك فيه أن إحساء بركات الثورة الخمينية أمرٌ متعالٌ على التناول والتحقق، ذلك أنها ثورة من نسيجٍ مختلفٍ عما شهدته ميادين الثورات الحديثة الكبرى في العالم وعن محركاتها المعرفية وعن انصار تكونها وإن تاجها وآفاقها .

إنها ثورة إلهية سيادية بكل ما يعنيه هذا التوصيف من إحالات إلى المرجعية الإلهية في منظومة الفكر والوعي والفعل الخميني، وفي منعطف زمني عالمي بالغ الدقة والخطورة والحساسية وتحديداً في دائرة الاختيار والاختبار الثوريين.

لقد فاجأ الإمام الخميني بخطابه السياسي العالمي كله من أقصاه إلى أقصاه وهز شباك الميدان العالمي بقوة وشموخ واقتدار ونفذ إلى عقل قادته ومؤسسات تفكيره ونخبه العالمية، لم يكن يتصور أحد شرقاً وغرباً<sup>٥</sup> إمكانية حدوث هذا الزلزال العالمي الذي فتح أبواباً جديدة بعد توهم إحكام غلق الأبواب الفكرية والسياسة لقيادة العالم على قواعد وضوابط ومرجعيات أخرى.

حدث لم يمر في دائرة خيال أحد لا في أشد الأحلام رعباً ولا في أجملها تمنياً ورجاءً وتضرعاً، كان ذلك خارج المُفكّر فيه، وما كان خارج المفكرة فيه بات مرجعية الفكر والفعل الثوريين هنا ومن أوسع أبواب الممكنتات وعبر الخطاب الخميني ومنظومته القيادية.

في اللحظة التي كان يطبق فيها تياراً الرأسمالية والاشتراكية بأبعادهما العلمانية وجزءاً أساسياً كبيراً منهما كان قائماً على إقصاء الدين والروحانية وقد فهموا في الحد الأدنى إلى المربيات الخلفية المغلقة عند الشعوب والمجتمعات، دوى صوت الإمام الخميني (قده)؛ بل إلى إن الدين قادر على إدارة الشعوب، بل إلى إن الدين جزء لا يتجزأ بمعناهاته وروحانياته وأخلاقه وقيمته من فطرة المجتمعات والشعوب، وإن العودة إلى الذات ضرورة وواجب لا يمكن تجاوزه ، كما إنه من البديهييات الأولى أن تقوم السياسة على القواعد القرآنية والإسلامية، وقد كان ومن أوسع الأبواب وأعرقها .

كان بإطلالة الإمام الخميني(قده) على المسح العالمي جاذبية لم يشهدها العالم بمختلف شعوبه ومجتمعاته من قبل، جاذبية حفرت عميقاً فيوعي تلك الشعوب والجماعات الإنسانية وعملت على استحضار تصوراتها التاريخية للروحانية التي ترتدي العمامة والعباءة وتحمل بين أضلاعها وفي قلبها وصايا الأنبياء(ع) وتعاليمهم وكلماتهم وتجاربهم التاريخية في إطار معاصر يشكل الوعي بالزمن أهم قواعده وأسسها في عملية الترجمة والتحقيق للفاعلية الثورية وعبر خطاب مدروس متين دقيق وجذاب.

وفي هذا الإطار لا بد من مقاربة المصطلحات المعرفية التي استعملها ساحة الإمام في سياق خطابه الإسلامي وملاحظة المرجعية الإسلامية لتلك المعرفة والمصطلحات، فلم يستنسخ الخطاب الخميني أي مفردة من مفردات السياسة مع المحددات المعرفية لها من خارج إطار منظومة الإسلام المعرفية ومرافق منظومته القيمية الاصطلاحية.

ذكر سماحة الإمام الخامنئي (دام ظله) في خطاب ذكرى الرحيل الأليم أن الجوهر الأساس للقيام الخميني يكمن في أنه كان **إله**.

لقد كان قياماً **إله** وبأهله، من محارب **إله** بمداراته الواسعة إلى كافة الجبهات، بإرادة **إله** وكلماته ومن خلال القرآن الكريم ووصايا الرسول الأعظم (ص) وأهل بيته(ع) ومن خلال أرضية الإسلام نفسه ومرتكزاته خطابه.

إن القيام **إله** بـإخلاص يشتغل في دوائر العبادة الروحية والسياسية والاجتماعية والدولية وعلى صعيد الأفكار تلبية لدعوة الفقه والنّص، بما يتجاوز مجرد العبادة الفردية، لذلك نجد أن قيام سماحة الإمام **إله** تمظهر في كافة الميادين ففي كل ميدان رفع الإمام للإسلام راية لا تنكسر وما زالت ترفرف بمبادئها وقيمها إلى لحظتنا هذه.

ومن أهم الميادين التي قام فيها **إله** وأعلى كلمة **إله** فيها هو ميدان إنتاج الدولة وصياغتها على أسس **إله** وبيناته ورفض التهجين والاستعارة والتلفيق.

من هنا نجد وبوضوح أننا لو أردنا الاختمار النظري والعملي للثورة الإسلامية وللجمهورية الإسلامية بوصفهما قائمتين على قاعدة واحدة أو مضمون مصطلح واحد لوجدناه في مصطلح السيادة الشعبية الدينية، ذلك المصطلح الإسلامي الحال من أي خلط مع أي منظومة أخرى، إنه مصطلح إسلاميٌّ قراح نابع من قواعد القرآن الكريم ومن قلب النظرية الإسلامية في الحكم وإدارة المجتمع والدولة، وهو ما نجده في البنية التركيبية لمفردتي الجمهورية الإسلامية معاً كتوصيف لجوهر وآلية الحكم في النظام الإسلامي الإيراني.

إن معنى وصف الإسلامية في مفردتي الجمهورية الإسلامية أن نظام الحكم يقوم على قواعد الإسلام العقدية والتشريعية بما في ذلك من قيم أخلاقية ومعنوية وروحية، على هذا الأساس تقوم الدولة ويقوم فعل القيادة والمجتمع في الدولة.

ومعنى مفردة الجمهورية أن الشرعية الفعلية لمؤسسات الحكم في الفضاء الإسلامي الاجتماعي والسياسي تقوم على أساس إرادة الناس وهو جوهر معنى البيعة وجوهر العقد الديني والسياسي في الإسلام.

وهذا ما نلاحظ ترجمته بوضوح في دستور الجمهورية الإسلامية الذي يقوم في محمل بنيته القانونية على ثنائية المرجعيتين الدينية والشعبية.

ولا يمكن للقارئ في أوراق الثورة الإسلامية وبيانات خطابها الفكري السياسي إلا الوقوف عند الاستفتاء الذي أمر سماحة الإمام الخميني(قده) بإجرائه لتحديد الهوية الدستورية للدولة والحكم المترقب، وقد قال الاجتماع الإيراني كلمته في صناديق الانتخاب وكانت النتيجة أنه يريد تقرير مساره ومصيره على أساس الحكومة الإسلامية ومرجعيتها القرآنية، ومما لا شك فيه أن إجراء هذا الاستفتاء دلالاته في طبيعة قراءة المنظومة القبادية الفقهية في شخصية الإمام الخميني(قده)، هو القائد الذي أسقط الشاه للتو ومن ورائه كل طواغيت الأرض والممسك باللحظة الثورية ، في لحظة الانتصار هذه يطلب من الناس أن يحددوا هم طبيعة الحكم الجديد في إيران.

وهذا هو في العمق معنى السيادة الشعبية، ومن هنا بالذات ومن هذه الأرض الفكرية انبثق مصطلح السيادة الشعبية الدينية.

لذلك نجد ساحة الإمام الخامنئي (دام ظله) يشدد على أصلية المصطلح الإسلامي في هذه القاعدة الثلاثية رافضاً القول بأنها توليفية استعارية من فضاءات فكرية غربية.

ومن الجدير ذكره هنا أن الإمام الخميني (قده) رفض إضافة مفردة الديمقراطية إلى مفردتي الجمهورية والإسلامية أثناء النقاوشات التي جرت حول كيفية توصيف الدولة آنذاك وأصر فقط على المفردتين الأصيلتين وهما الجمهورية الإسلامية، وهذا يصب تماماً في طبيعة نحت المصطلح وإدارته من خلال المنظومة الفكرية الإسلامية ذاتها.

ومن أعظم المحطات التي تعبّر بوضوح عن القيام في سياق النداءات الإسلامية موقف سماحته من القضية الفلسطينية، فلسطين أضخم قضية عرفها التاريخ على الإطلاق، فلسطين ليست مجرد بيت تم احتلاله من قبل العدو الإسرائيلي والمنظومة الدولية التي غطت ذلك وأيدته وشرعنته، هو احتلال دولة بكمالها وشطبها وتغيير هويتها وطرد شعبها منها وإنداله بشعب آخر تم إحضاره من دول العالم، كيان محتل قام على أنقاض دولة تم تدميرها وشعب سلبت أرضه وكافة حقوقه الإنسانية والدولية.

هنا قام الإمام الخميني، ورفع العلم الفلسطيني المظلوم مكان العلم الإسرائيلي بما يمثله من احتلال واستيلاب في السفارة الإسرائيلية التي أغلقتها الثورة في طهران، وأعلن الجمعة الأخيرة من شهر رمضان يوماً للقدس، اليوم الذي تحول إلى بركان تصاعد حممه إلى التحرير الموعود وهو قادم بلا ريب.

وأجاز سماحته الصرف من أموال الخمس الشرعي لدعم القضية الفلسطينية من أجل إعلاء كلمتها ومساندتها، كما باتت الجمهورية الإسلامية اليوم وعلى خطاه(قده) وبقيادة ساحة الإمام الخامنئي (دام ظله) قلعة خطاب وإنجاز تحرير الشعوب المظلومة كافة وخصوصاً الشعب الفلسطيني، كما أن المقاومة في لبنان بعمقها العميق ومحوريتها الإستراتيجية وإنجازاتها المذهلة، وتموّلها الإلهي وأهدافها المقدسة هي

فرع من شجرة القيام الخميني □.

في العمق إن الصراع اليوم بدور حول فلسطين، من يسقط على الطريق يسقط على الطريق إلى فلسطين ومن يرتفع جبينه يرتفع على الطريق إلى فلسطين، فلسطين مختبر القيم والمبادئ الإنسانية والمباني السياسية العالمية ومختبر إرادة الأنظمة والشعوب.

نعم لقد أدخل الإمام الخميني (قده) مفردة المقاومة بكل حمولتها الروحية والتاريخية والثورية إلى القاموس السياسي العالمي، وأطاح بكل الحدر التي تم تثبيتها بين الشعوب المظلومة وأهدافها، لقد غير الثوابت التي تم إرساوها وإقناع الشعوب بها، وخلاصة شعاره العماني الحي المتوجب الثوري يمكن في مقولته الشهيرة التي غيرت مجرى التاريخ، بلـ إنكم قادرون.

وفي الحمداد، إن كل المشاريع الاستكبارية في غرب آسيا إنما فشلت وتحطمـت وتكسرـت بفعل الثورة الخمينية والجمهورية الإسلامية وخطـا بها واستراتيجية التحرير التي تقودـها تحت مظلة سماحة الإمام الخامنئي (حفظـه الله) وقيادـته الحـكيمـة.

ومن المعلوم أن من أراد معرفة ما يجري في العالم من حوله وخصوصـاً في منطقتـنا، إنـما يتم ذلك من خلال رصد خطـابـات سماحة الإمام القـائدـ، من هناك يمكن الحصول على الحـقـيقـةـ كماـ هيـ، وعلى ثوابـتـ الصراعـ معـ قـوىـ الـهيـمنـةـ وـالـاستـكـبـارـ وـخـطـابـ المـقاـومـةـ فيـ أـبـلـغـ صـورـهـ وـتـشـكـّـلاتـهـ.

كل ذلك من خلال ثوابـتـ الإـسـلـامـ الأـصـيلـ التيـ رـفـعـ لـوـاءـهاـ سـمـاـحةـ الإمامـ الخـمـينـيـ (قـدـهـ)ـ وـمـنـ هـنـاـ فـهـوـ إـمامـ

الأمس والحاضر والمستقبل وهو روح الجمهورية الإسلامية وقلبها النوراني النابض.

يومان لا يمكن تجاوزها في الذكرة الجمعية، يوم استقبال الإمام الخميني (قده) قادماً من باريس ويوم وداعه الأخير في رحلته الملكوتية، ومن أراد قراءة شرعية الثورة وجمهوريتها الأبية اليوم فليتحقق بالليوم الثالث، يوم وداع أشتر الجمهورية الإسلامية الشهيد الحاج قاسم سليماني رضوان الله عليه إلى مثواه الأخير، والإرادة السيادية الشعبية الدينية تجلت في الأيام الثلاثة بأبهى صورها وتمظهراتها ورسائلها .